مجلة العمران البشري العدد 01 المجلّد 06/ جويلية 2026
الصفحات: 092 - 112 E ISSN: 3088– 8492 / ISSN: 2800-1354

العملات المتداولة في مدينة تادمكة خلال الفترة الوسيطة

Currencies circulating in the city of Tadmekka during the medieval period

د. محمدو ولد محمد فال

دكتوراه في تاريخ صحراء الملثمين خلال العصر الوسيط

جامعة نواكشوط – موريتانيا

تاريخ الإرسال: 2026/05/13	تاريخ المراجعة: 2026/06/23	تاريخ القبول: 2026/06/23

الملخص: (بالعربيّة)

انفردت مدينة تادمكة دون غيرها من حواضر صحراء الملثمين بسك عملة خاصة بها والتعامل بمجموعة من العملات الأخرى لدول خضعت لنفوذها، وبما أسهم في توفرها على جهاز مصرفي ساهم في تطوير تجارتها واكسابها مكانة استقطبت من خلالها التجار والبضائع من مختلف المناطق الأخرى جنوبا وشمالا، إلى درجة اعتبرت معها تادمكة سوقا لا يستثنى فيه توفر أي نوع من أنواع البضاعة حيث كان (يعرض بها كل شيئ يباع ويشترى).

ونسعى في هذا المجال للتعريف بمجمل العملات التي تم التعامل بها في تادمكة خلال الفترة الوسيطة، مع رصد تأثير وجود نظام مصرفي بالمدينة على حجم المبادلات التجارية بينها وبين الحواضر والدول الأخرى بما يعكسه تعدد الطرق معها وتنوع المواد التجارية من حيث طبيعة البضاعة والمصدر.

الكلمات المفتاحية:

تادمكة – الدينار الأصلع – صحراء الملثمين – سكة الأدراسة – سكة المرينيين – السكة الرستمية

Abstract : (In English)

The city of Tadmekka was unique among the cities of the Sahara of the veiled people in minting its own currency and dealing with a range of other currencies from states under its influence. This contributed to the development of a banking system that fostered its trade and earned it a prominent position, attracting merchants and goods from various regions, both north and south. Tadmekka became a market where virtually every type of merchandise was available for sale.

In this study, we aim to identify the various currencies used in Tadmekka during the medieval period, while also examining the impact of the city's banking system on the volume of trade between Tadmekka and other cities and countries. This impact is reflected in the numerous trade routes and the diversity of goods traded, both in terms of their nature and origin.

Keywords: Tadmekka – The Bald Dinar – The Desert of the Veiled Ones – The Idrisid Railway – The Marinid Railway – The Rustamid Railway.

توطئة:

عرفت مدينة تادمكة من بين مجمل الحواضر التي نشأت في إطار صحراء الملثمين، وجود عملة خاصة بها عرفت بالدينار الأصلع، فيما تميزت تلك المدينة كذلك عن بقية الحواضر الصحراوية بالاعتماد على نظام مصرفي تمثل في تعامل ساكنتها بعدد من العملات جمعت بين عملتها المحلية (الدينار الأصلع) وعملات الدول التي خضعت المدينة لسيطرتها، وبما يفيد تقبل وتعود ساكنتها على التعامل بالنقود على غرار الحواضر الشمالية، فضلا عما يعنيه ذلك من تفوق النظام الاقتصادي على نظام الحواضر الصحراوية والسودانية الأخرى التي غاب فيها التعامل بالنقود وبالتالي بقيت دون خوض تجربة مماثلة لتادمكة بهذا الخصوص. ونسعى في هذه المقال للتعريف بالعملة الخاصة بهذه المدينة وإبراز خصائصها الفنية، مع استعراض أهم العملات الأخرى التي تعامل بها سكان المدينة والأدوار والمهام التي اضطلع بها النظام الصرفي للمدينة مع فترة التعامل فيها بالدينار الأصلع أو بعملات أخرى في فترات لاحقة.

1– تادمكه خلال الفترة الوسيطة:

تقع تادمكه (التي تعني السوق باللغة الطوارقية[1]) حاليا في أقصى شمال جمهورية مالي[2]، حيث اشتهرت في الماضي من قبل عدد من كتاب الفترة الوسيطة كمركز تجاري متميز يترجم فعلا على الواقع معنى اسم (السوق) الذي اكتسبه بالطورقية (تادمكة)[3]، وذلك بعد تحولها من موقع مخصص لتجمع الأشخاص الراغبين من بلاد السودان في التوجه إلى مكة المكرمة بهدف الحج، إلى مركز تجاري نشط عمل على استقطاب مختلف القبائل البربرية القريبة من موقعها مع عدد كبير من التجار جاؤوا من مختلف مناطق العالم الإسلامي للاستفادة من المزايا التي وفرها هذا المركز مع تطوره وأهمها شبكة طرق كثيفة تربطه بأهم الحواضر

[1] - الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مطابع هيدلبوغ، بيروت، ط2، 1984م، ص128

[2] - دوبلال، محمد، وبلبالي، محمد، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي من القرن 1هـ/7م –إلى القرن 10هـ17م"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة آدرار، الجزائر، 2020 – 2021، ص6

[3] - مجهول، خبر السوق، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003، ص4

في المغرب ومصر من جهة، وبأهم الحواضر الموجودة بصحراء الملثمين وبلاد السودان من جهة ثانية.

فيما بلغت مدينة تادمكة أوج ازدهارها في الفترة ما بين القرن الثالث والقرن السادس للهجرة. وذلك قبل أن تتأثر بالغزو المرابطي لها في العام 476هـ / 1083م، وهو الغزو الذي أثر على مكانتها الاقتصادية[4]، فيما تباينت طبيعتها السياسية عبر العصور بين الحكم من قبل ساكنتها[5] أو الخضوع لسيطرة القوى المجاورة في الشمال من قبيل الأدراسة[6] والدولة الرسمية[7] والمرينية[8].

في حين عرف عن تادمكة كذلك شبهها الكبير بمكة المكرمة إضافة إلى جمال وتميز عمارتها، حيث يورد الحميري عنها بهذا الخصوص ما يلي (وتادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة، ومعنى تادمكة هذه مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب، وهي أحسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو "كاوا")، في حين تطرق الحميري كذلك إلى إسلام أهل تادمكة وذكر معطيات تخص نمط معيشتهم وملابسهم والزي الخاص بملوكهم، وعملتهم المعروفة بالدينار الأصلع[9].

---

[4] - الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي،
1999، ص165

[5] - القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1980، ج8، ص21

[6] - السلمي، ابراهيم بن عطية الله، مدينة تادمكة في العصر الاسلامي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، ع66، جمادى الأولى 1437هـ، ص295

[7] - ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبى، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص101، البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، 880

[8] - العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج4، ص133، القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص210

[9] - الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مطابع هيد لبوغ، بيروت، ط2، ج1، ص128

ونجد القلقشندي المتوفى بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ينحو بدوره لإيراد معلومات مقتضبة ومركزة عن تادمكة تخص أهم ما يجلبه إليها التجار من مواد، وصفة أهلها ونسائها وعملتهم، وطول المسافة بينها وبين غانه وذلك بقوله (تجلب إليهم [أي أهل تادمكة] الذرة وسائر الحبوب من بلاد السودان، ويلبسون الثياب المصبغة من القطن والصوف وغير ذلك، وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصاً أصفر، ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة، ونساؤهم فائقات الجمال لا يعدل بهن نساء بلد حسناً، وبين تادمكة وغانة نحو خمسين مرحلة، وبينهما مدن وعمائر للسودان والبربر)[10].

أما سكان تادمكة - التي عرفت بموقعها الحصين بفعل تواجدها بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية[11]- فكانوا مزيجا من أعراق وقبائل مختلفة يغلب عليهم العنصر البربر بسبب وقوع المدينة في صحراء الملثمين[12]، حيث كانوا يدينون بالإسلام ويعتمدون في معاشهم على التجارة والسفر[13]، مع ممارسة نسبة مهمة من سكان المدينة لأدوار الوكلاء والأدلاء بهدف مساعدة التجار القادمين من خارج المدينة بتجارتهم إليها ولما وراءها من حواضر في الصحراء وبلاد السودان، وذلك مقابل تخصص بعض هؤلاء السكان في توفير خدمات أخرى تخص الخانات والحظائر الموجهة لاستراحة التجار وجمال القوافل[14].

في حين يبقى من أهم العوامل التي اكسبت تادمكة مكانتها كمركز تجاري نشط، بروزها كمحطة رئيسية للقوافل القادمة من مصر والمغرب في اتجاه حواضر صحراء الملثمين أو بلاد السودان أو العكس[15]، في معطى قاد مع الوقت إلى ربطها بشبكة طرق مهمة مع عدد كبير

---

[10] - القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص204

[11] - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مصدر سابق، ص128

[12] - دندش، عصمت، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430– 515هـ/ 1038 – 1121م، 1408هـ/1998م، ص34

[13] - ابن سعيد، أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق سماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 115

[14] - زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في العهدين الأسبقيين 1493 -1593، الشركة الوطنية، 1971، ص212

[15] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880

من المراكز التجارية في تلك المناطق، وهي الشبكة التي تركزت على محاور عدة: أحدها ربط تادمكة بالقيروان مرورا بفزان ووجلة، فيما ربط محور ثان تادمكة بالإسكندرية مرورا بغدامس، وذلك مقابل محور ثالث ربط - من خلال تادمكة - بين من مصر عبر واحة سيزة وزويلة من جهة، وبين تنبكتو من جهة ثانية، فيما وجد محور رابع كان يقطع المحور الآنف(مصر – تادمكة – تنبكتو) في تادمكة أيضا وذلك لكونه ينطلق من تاهرت في الشمال ليصل إلى غاو – بعد مروره بتادمكة - في أقصى الجنوب. وذلك إلى جانب توفر تادمكة على شبكة طرق فرعية كثيفة إضافية تربطها بالعديد من المراكز التجارية الواقعة في جهات الشرق والشمال والجنوب والتي نذكر من أبرزها: ورجلة[16] – سجلماسة - برقة – غدامس– القيروان - الاسكندرية[17]- كوكو- غانة - كاغو - ونسلا[18].

وبفعل موقعها التجاري الهام، تحولت تادمكة إلى سوق كبيرة تتميز بوفرة وتنوع البضائع المعروضة بها، وبما جعلها - كما ذكرنا من قبل - تحمل اسم وصفة(السوق) العامرة باستمرار من منطلق كونها يعرض بها ويُأتى إليها بكل شيئ يباع ويشترى[19]. وبحيث تنوعت السلع المعروضة في أسواق تادمكة بين سلع من إنتاج محلي أو من إنتاج المدن الصحراوية كان من أبرزها النحاس والجريد والملح والجلود وحجر الشب وحجر تاسي النسمت، وبين سلع مجلوبة إليها من الشمال الإفريقي ومصر أهمها الثياب والحبوب والفخار المغربي والبخور، أو سلع ترد محمولة إليها من بلاد السودان أهمها الرقيق والذهب والحبوب والعاج[20].

ويلاحظ مع القلقشندي أن تادمكة قد حافظت على ازدهارها التجاري إلى غاية نهاية الفترة الوسيطة، حيث بدأت تفقد ألقها ومكانتها التجارية بعد ذلك بفعل هجرة ساكنتها خصوصا من التجار إلى تنبكتو الذين استقطبتهم حركيتها الاقتصادية وتعاظم دورها في التجارة

[16] - ابن سعيد، الجغرافيا، مصدر سابق، ص115

[17] - الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص145

[18] - ابن سعيد، الجغرافيا، مصدر سابق، ص115

[19] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880

[20] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880/ ودوبلال، وبلبالي، مدينة تادمكة، مرجع سابق، ص42

الصحراوية، في معطى كان بالأساس على ما يبدو على حساب الدور التجاري لتادمكة، وذلك قبل أن تتوسع أكثر هجرة سكانها من الطوارق نحو نفس المدينة (تنبكتو) نتيجة اعتبارهم لها على أنها تبقى أقدر من تادمكة على تحقيق تطلعاتهم السياسية[21].

وستتعرض تادمكة إلى تحديات إضافية ستسهم بدورها في القضاء على مكانتها الاقتصادية، تمثلت في نكبتها على يد ملوك الصونغاي الذين استهدفوا بكل قوتهم الطوراق الموجودين بها في إطار حربهم معهم لاخضاعهم لسلطانهم، وبما تعرضت معه المدينة للنهب وللتخريب على يد الأسكيا اسحاق الثاني عام 1589م، في معطى سيدفع غالبية أهلها إلى مغادرتها واللجوء إلى أطراف الصحراء لممارسة تربية الماشية وبالتالي امتهان الرعي كنشاط رئيسي بديل لهم عن نشاط التجارة الذي كان مبرر ارتباطهم بتادمكة[22].

2 – النقود المتداولة في تادمكة:

عرفت تادمكة خلال الفترة الوسيطة تعاملا بعدد من النقود المختلفة بعضها من إنتاج محلي، فيما كان بعضها الآخر مجلوبا إليها من قبل دول تمكنت من إخضاعها لسلطانها.

1 - 2 - النقود المحلية:

لم تعرف الحواضر التي تأسست على مستوى صحراء الملثمين – باستثناء تادمكة - أي صناعة للنقود، حيث تنسحب هذه الملاحظة على أبرز الحواضر التي قامت بالمنطقة مثل أودغست التي لم تعرف عملة مع دولة صنهاجة التي حكمتها ردها من الزمن، وبما يبدو معه

[21] - الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، مرجع سابق، ص165)

[22] - كعت، محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2014، ص152 / وعبد الشافي، عبد الشافي، وآخرون، الدور السياسي لقبائل الطوارق في بلاد السودان الغربي في عصر مملكتي مالي والصونغاي، مجلة الدراسات الإفريقية، مج24، ع1، يناير 2024، ص 219

أن خلو بلاد السودان من العملات[23] قد أثر أكثر في الحواضر التجارية المرتبطة بها مثل أودغست وآزوكي وكوكدم وآوليل وبلاد قمنورية فلم تنتج عملات خاصة بها، وذلك أكثر مما أثرت في تلك الحواضر مجمل الممالك الإسلامية التي قامت على حدودها الشمالية والتي كانت تستورد منها الذهب مباشرة أو تستورده عبرها من بلاد السودان.

أ – ملابسات نشأة الدينار الأصلع:

ربما نظل حتى الآن - بما نتوفر عليه من مصادر تاريخية ومن نتائج بحوث أركيولوجية - أمام تجربة يتيمة عرفتها صحراء الملثمين فيما يخص إنتاج عملة ذاتية، حيث يتعلق الأمر بمدينة تادمكة التي سجل المؤرخون تعاملها بما عرف بالدينار الأصلع[24]، في فترة تعود إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين/السابع والثامن الميلاديين[25]، وبما سننتظر معه مرور قرنين لنشهد مثيلا لتلك التجربة مع تدشين المرابطين في القرن الخامس الهجري /العاشر الميلادي لإنتاج عملة خاصة بهم انطلاقا من سلجماسة وذلك إبان اتخاذهم من آزوكي عاصمة لهم[26].

ونحن نجد نتفا متفرقة من المعلومات عن دنانير تادمكة عند أكثر من مؤرخ أو جغرافي وسيط، نذكر من بينهم كلا من البكري والقلقشندي والحميري، حيث أبرز البكري أهم الخصوصيات الفنية التي يعكسها الاسم(الدنانير الصلع) والمتمثلة في كونها تظل مجرد قطع

---

[23] - نسجل هنا مفارقة من نوع خاص ذلك أن هذه البلاد التي كانت تتوفر على أكبر مخزون من الذهب في الفترة الوسيطة تغذي به الدول الإسلامية والأوربية الأخرى لم تسجل لممالكها عملات على غرار الدول الآنفة!

[24] - هل يمكن أن نأخذ من شكل هذا الدينار تأثرا مزدوجا بالمحيط الخارجي، وبما يعني تأثر تادمكة بالدول المجاورة لها من ناحية الشمال بإنتاج عملة خاصة بها، في مقابل تأثر تادمكة أيضا بتجارب دول السودان من خلال اغفال او اطراح مبدأ الكتابة على الدينار الأصلع تأسيا بنوعية خاصة من العملات التي قامت بالدول السودانية وتركزت على التعامل بالمسامير التي تخلو من الكتابة. راجع: الحسين، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الفاطمي، 1999، ص135

[25] - الحميري، الروض المعطار، مرجع سابق، ص128

[26] - ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ج7، ص52

من الذهب غير المختوم لانعدام الكتابة عليها، والتي يتم التعامل بها عن طريق الوزن وليس عن طريق العدد كما هو الحال بالنسبة في النقود الأخرى[27].

ويكتفي كل من الحميري والقلقشندي بما نقلاه فيما يبدو عن البكري بخصوص الدنانير التادمكية وذلك بما يخص التسمية وما يتعلق بخلوها من أي كتابة، حيث نجد عند الحميري أن (عملتهم تسمى الصلع لأنها من الذهب المحض غير مختومة[28]). وذلك مقابل ترديد القلقشندي نفس المعطيات بقوله (ودنانيرهم [أي أهل مدينة تادمكة] تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة)[29].

فيما لا تفيدنا المعلومات المجتزأة التي قدمها المؤرخون الثلاثة أكثر من ذلك عن عملة تادمكة، لا من حيث معرفة الوزن الخاص بها أو شكلها، ولا من حيث توفرها على وحدات متراتبة القيمة تكون وحدات أصغر منها، فيما يغيب كذلك أي حديث عن وجود نظائر لتلك العملة الذهبية من معادن أخرى كالفضة والنحاس.

وفي المقابل تفيدنا الدراسات الأركيولوجية الحديثة باستمرار صناعة النقود بتادمكة إلى حدود القرن الثامن الميلادي وذلك في إطار ازدهارها التجاري الذي بلغ أوجه في الفترة ما بين القرن الثالث والقرن السادس للهجرة، والذي تأثر بالغزو المرابطي لها في العام 476هـ / 1083م[30]، وبما يعني وجود تعامل بالدنانير الصلع إلى فترة متأخرة نسبيا أي استمرار التعامل بها لمدة سبعة قرون كاملة[31]، وبما تعزز كشوف أثرية قيم بها في المدينة قادت إلى كشف

---

[27] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص370

[28] - الحميري، الروض المعطار ، مصدر سابق، ج1، ص128

[29] - القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص204

[30] - الشكري، الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي،
1999، ص165

[31] - وذلك بمقارنة التاريخ الذي أعطاه الحميري لبداية التعامل بالدينار الأصلع في القرن الثاني الهجري مع حديث القلقشندي المتوفي بداية القرن التاسع الهجري (821 هـ) عن وجود العملة بالمدينة. راجع: الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128، والقلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص204

النقاب عن وجود صناعة للنقود في المدينة أرجعتها إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين، وذلك من خلال العثور على عديد القوالب لصناعة تلك النقود، وبما يؤكد صحة معلومات المصادر الوسيطة عن احتضان تادمكة لصناعة نقدية خاصة بها[32].

وعلى العموم تكشف المعطيات السابقة بقاء عملة تادمكة من دون تأثر بالصناعة النقدية المتطورة في المدن التي تتعامل معها في المغرب ومصر من خلال غياب الاستعداد لنقل الخبرة والأدوات واستقطاب الخبراء في هذا المجال لتطوير عملتها بالكتابة عليها. ناهيك عن تسجيل ثباتها على صيغة واحدة من حيث النوع وعدم عمل وحدات لها، أو خوض تجربة انشاء عملات من معادن أخرى. وهي معطيات تفيد بقاء التعامل بها محدودا أو يراوح على مستوى واحد يعكس عدم الرغبة في تطويرها من ناحية الشكل أو الوظيفة بتوظيف صيغة العد لها بدل صيغة الوزن في المبادلات التجارية[33].

فيما يلاحظ كذلك محدودية التعامل بالدينار الأصلع الذي كانت تنتجه تادمكه، وبما يعكسه الاقتصار في التعامل به على المدينة بشكل أساسي، وذلك ما دمنا لا نجد لها ذكرا في المعاملات التي عرفتها أهم الحواضر التجارية الأخرى في صحراء الملمثين مثل أودغست وآزوكي وكاكدم وآوليل، ولا في حواضر بلاد السودان هي الأخرى. في حين لا نجد لها كذلك أي ذكر في المعاملات التي عرفتها الحواضر المحتكة بتادمكة والمرتبطة بها في كت من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ومصر.

وربما يمكن أن نفترض أن تعامل التادمكيين بعملات الدول التي خضعوا لسيطرتها مثل الأدراسة والرستميين والمرينيين، قد أسهم في دفعهم لإيجاد عملة خاصة بهم، وبما كان له اسهامه الخاص في تطوير تجارتهم، إلى جانب لعب تلك العملة لدور معتبر في رفع وتنوع كم

[32] - الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128

[33] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص370

البضائع المعروضة بأسواقها والتأسيس لنظام مصرفي حافظت المدينة من دون مدن صحراء الملمثين على اعتماده لعقود عديدة[34].

ب – الخصائص الفنية للدينار الأصلع:

بما أن عملة تادمكة هي العملة الوحيدة التي ظهرت في الصحراء خلال الفترة الوسيطة قبل المرابطين فنعرض لأهم خصائها الفنية من حيث المعدن والحجم والمعطيات الأخرى:

فمن حيث المعدن نجد اقتصار هذه العملة على معدن الذهب، وهو ما أكده البكري بذكره أنها تبقى من خالص الذهب يلجأ فيها إلى الوزن على قياس التعامل مع هذا المعدن فيما يفيد ابقائها على مستوى هذا المعدن ومن دون التعامل معها كما يتعامل مع النقود من خلال اعتماد طريقة عد القطع[35]، كما أننا لا نجد أي من بين المؤرخين الثلاثة الذين تحدثوا لنا عن هذه العملة يذكرون معها عملة أخرى من غير معدن الذهب[36]، وذلك رغم شيوع معادن الفضة والنحاس في الصحراء ووجود تعامل بهما في مجالات قريبة من التعامل في الذهب كالحلي والعملات، حيث كان من الشائع استخدام النحاس في مسامير نحاسية يتم التعامل بها بصفتها ومما يؤكد تفرد تادمكة باعتماد عملة ذهبية خالصة مجمل البحوث الأركيولوجية التي نجد أن نتائج تنقيبها لم يسجل فيها عثور على غير صنجات خاصة بضرب عملات غير معدن الذهب[37].

في حين يبقى حجم الدينار الأصلع من الأمور التي تطرح اشكالا لنا حتى الآن، وذلك لغياب أية معلومات تفيدنا عن طبيعة هذا الحجم وهل هو دائري بشكل كامل أو في صيغة هو فيها أقرب إلى المستدير ومقدار قطره في هذه الحالة أو أنه دينار يتخذ شكل مربع، وذلك بسبب

---

[34] - وذلك بمقارنة التاريخ الذي أعطاه الحميري لبداية التعامل بالدينار الأصلع في القرن الثاني الهجري مع حديث القلقشندي المتوفي بداية القرن التاسع الهجري (821 هـ). راجع: الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص204

[35] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص370

[36] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص370، والحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128، والقلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج 5، ص204

[37] - الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128

أن ما لدينا من مصادر تاريخية عن مدينة تادمكة في الفترة الوسيطة وما نجده في الدراسات الأركيولوجية التي جرت في المدينة حتى الآن لا تعسفنا بما يساعدنا في معرفة حجم الدينار الأصلع.

ونفس ما نعاني منه بخصوص الحجم نعاني منه فيما يتعلق بوزن هذه العملة، حيث لم تحدد لنا أي من المصادر التي تطرقت لها عن زنة الدينار الأصلع كما لم تعثر لنا البحوث الأركيولوجية على نماذج من هذا الدينار لنعرف من خلالها مقدار وزنه، وإن كان نرجح اعتماد العملة التادمكية للوزن الشرعي للمثقال بسبب القيام بضرب دنانيرها بكميات أكبر من الذهب[38]، وذلك لكون معطى استيفاء الوزن الشرعي لم يكن مطروحا لها بسبب قربها النسبي من مناطق انتاج الذهب في بلاد السودان، على عكس دول أخرى كان بعدها عاملا رئيسيا في نقص وزن عملتها.

ولعل أهم ميزة ميزت الدينار الأصلع لتادمكة عن غيرها من النقود التي عاصرته في مناطق أخرى مثل سجلماسة مثلا، هو خلوه من أي كتابه عليه، مما درج على استخدامه في العملات الأخرى والذي يبقى من أهمها عبارات تخص المذهب الديني للدولة، أو تخص السلطان الذي ضرب الدينار في عهده، أو توضح فترة ومكان إصداره، وبما جعل هذا الدينا يحمل تسمية (الدينار الأصلع) لخلوه من الكتابة والرموز على جانبيه، في معطى جعل له وجهين متقابلين لا يمكن التفريق بينهما على أساس وجه وظهر كما هو الحال مع بقية العملات.

ونحن نجد في الفترة الوسيطة عملات أشبهت العملة التادمكية في ظاهرة خلوها من الكتابة على الجانبين، والتي نذكر منها وحدات الفلس التابعة للدولة الحمادية والتي تميزت على غرار العملة التادمكية بخلوها من الكتابة، والاقتصار في صناعتها على معادن مخصوصة لتشكيل نقودها عبر هذه التقنية[39].

---

[38] - ميمونة، جاب الله، السياسة المالية للدولة الزيانية (633 هـ- 1236م / 962هـ- 1555م)، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة بن خلدون - تيارت، 2013 – 2014م، ص69

[39] - خبابة، إيناس، مسكوكات دويلات المغرب الأوسط نماذج من القرن 4هـ/ 7هـ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2018 – 2019، ص ص97 -98

ويلاحظ أن الدينار الأصلع جرى انتاجه على نموذج واحد طيلة فترة استخدامه المحدودة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/السابع والثامن الميلاديين[40]، مع مراعاة وجوده على شكل موحد لا مضاعفات ولا أجزاء له على غرار ما هو معروف في بقية العملات في دول المغرب الإسلامي، مع ما غياب أية معطيات كتابية علي العملة التادمكية تفيد في تحديد قيمتها[41].

ويطرح لنا المعطى الذي أورده البكري بخصوص اللجوء في التعامل بالدينار الأصلع الى الوزن بدل العد على غرار ما هو متبع في العملات الأخرى، إشكالا مهما يخص الكيفية التي كان يتم بها شراء السلع التافهة التي سعرها متدن حين لا يرقى ثمنها الى دينار واحد [42].

في حين أغفلت المصادر التاريخية ذكر الدار التي كانت تطبع فيها الدنانير الصلع، وإن كانت الأبحاث الأركيولوجية الحديثة قد تم العثور من خلالها على غير صنجات استخدمت على ما يبدو قوالب لصناعة العملة التادمكية[43]. وإن كانت بسبب عدم توفرها على معطيات كتابية لا تسعفنا مثل المصادر الوسيطة بأي معلومات الدار التي تولت ضرب هذه العملة[44].

2 – 2 - العملات الخارجية:

لجأ عدد من الدول التي تمكنت من اخضاع مدينة تادمكة لسيطرتها- خصوصا من ناحية الشمال التي يسود فيها نظام نقدي عكس دول الجنوب - إلى جلب عملتها معها إلى المدينة في إطار استخدامها لها في مختلف المدن والمناطق التابعة نتيجة ما تلعبه تلك العملة من دور

---

[40] - الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128

[41] - نفس المرجع، ص69

[42] - من المرجح أن يكون وزن الدينار الأصلع هو وزن المثقال الشرعي الذي كان وزنه في إفريقية والأندلس خلال العصر الوسيط 4.722 غراما. هينتس، ، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية *وما يعادلها في النظام المتري*، ترجمة: كامل العسلي. الناشر: الجامعة الأردنية. الطبعة الأولى، 1390هـ، ص18

[43] - الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص128

[44] - خبابة، إيناس، مسكوكات دويلات المغرب الأوسط نماذج من القرن 4هـ/ 7هـ، مرجع سابق، ص69

في التوسط في الأنشطة التجارية من جهة، ولحاجة كل دولة - وهو الأهم - للنقود من أجل صرف رواتب موظفيها وجنودها والمتعاونين معها من وجهاء وعلماء من جهة ثانية.

وبناء على الملاحظة الماضية نورد هنا جملة من العملات التي نرجح حضورها بشكل آو بآخر وفي فترات دون أخرى في المبادلات التجارية داخل تادمكة، سواء تلك التي تجري داخل المدينة فقط أو تلك التي تقع بين تجاره وبين تجار الحواضر والدول الأخرى. حيث سنقتصر هنا على الدول التي تأكد خضوع تادمكة لسيطرتها وهي دول: الأدارسة والرستميين والمرينيين.

أ - سكة الأدارسة:

توسعت دولة الأدارسة - التي قامت في المغرب خلال الفترة ما بين 172 – 375هـ / 788 – 991م، لتشمل حدود نفوذها مناطق شاسعة في اتجاه الجنوب، استحوذت على مجمل دولة مالي الحالية من الشمال والشرق بما في ذلك منطقة زاغة على نهر النيجر[45]. وبما مكنها من السيطرة على عدد من المدن والقرى الصحراوية أبرزها مدينة تادمكة.

ونحن نرجح استعمال سكان تادمكة لعملة الأدارسة على غرار سكان المدن الأخرى التي خضعت لسيطرتهم، في معطى سيكسب التادمكيين مهارة التعامل بالنقود، وبما سيعملوا على تطويره لاحقا لتصبح لهم عملتهم الخاصة، وذلك من عدم إغفالنا لحاجة السلطات التي حكمت المدينة باسم الأدراسة، إلى نقود مخصصة لصرف الرواتب من يعملون لصالحها من موظفين وجنود ومتعاونين من جهة.

كما يمكن أن نضيف إلى ما سبق، ما يمكن أن تكون لعبته عملة الأدارسة أيضا من دور في تطوير المبادلات بتادمكة، وذلك بفعل ما طلت تتميز به من سعة الانتشار في مناطق شاسعة، في معطى كان يخدم تجار المدنية في الذهاب بعملتها إلى المدن الأخرى التي تعرف النظام النقدي لشراء البضائع وجلبها إلى تادمكة، وكذا إحضارها إليها من قبل التجار الراغبين في شراء منتجات من المدينة لتسويقها في أماكن أخرى.

[45] - السلمي، ابراهيم بن عطية الله، مدينة تادمكة في العصر الاسلامي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، ع66، جمادى الأولى 1437هـ، ص295

ب - السكة الرستمية:

شملت النقود التي تعامل بها التادمكيون، عملة الدولة الرسمية التي عرفت كيف تستغل الموقع الجغرافي لعاصمتها في تيهرت في خلق تجارة نشطة مع بلاد السودان وما في طريقها من حواضر الصحراء (بما في ذلك تادمكة)، لتكسب بذلك دور مزود رئيسي للعالم الإسلامي بذهب السودان، وبما أمن لأهل تيهرت أيضا كسب ثروات معتبرة انعكست على تعمير وتطوير مدينتهم وفي تحسين مستوى وضعهم المعيشي[46]، وهو ما جعل ابن الصغير يذكر بهذا الخصوص (أن سكان تيهرت بدت في محياهم آثار النعمة والغنى)[47].

كما عمد الرستميون في إطار اهتمامهم بالتجارة الصحراوية ورغبتهم في تيسير الشروط المحفزة لها، إلى حفر الآبار وإرسال حاميات من الجنود مع القوافل لتأمينها. مع حرصهم على السيطرة كذلك على مدينة تادمكة الصحراوية لاستغلال موقعها الاستيراتيجي المتميز والحصين في تعزيز مشاركتهم في هذه التجارة، في معطى سيدفعهم لاحقا إلى تكوين أحياء خاصة بالرستميين بتادمكة وذلك بعد احتلال مدينتهم تيهرت من قبل العبيديين في العام 296هـ / 909م[48].

في حين نتوقع أن يكون الرستميون قد جلبوا معهم إلى تادمكة - خصوصا بعد هزيمتهم على يد العبيديين - كميات إضافية من عملتهم التي ضربوها باسم تيهرت[49] ليتم التداول بها على نطاق واسع خصوصا في معقلهم الجديد (تادمكة)، وربما يفسر جلبهم لما يملكون من النقود إليها تحولهم لمجموعة مؤثرة من بين مجمل ساكنة المدينة، فضلا عن توقعنا لتنوع

---

[46] - مطهري، فطيمة، موارد بيت المال الرستمي ونظام المبادلات والمعاملات داخل تيهرت وخارجها(ق2 -3هـ)، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج3، ع2، جويلية 2011م ، مرجع سابق، ص101

[47] - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر وإبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص39

[48] - ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص101، والبكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880

[49] - محمد عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص97

نماذج النقود الرسمتية التي ستعرف تادمكة التعامل بها بعد استقرار الرستميين بها لتشمل أغلب الإصدارات العديدة للعملة الرستمية[50].

ج – السكة المرينية:

عرفت مدينة تادمكة فترة تبعية مباشرة للدولة المرينية - التي مدت سلطتها على أجزاء من مناطق الصحراء بسبب اهتمامها بتجارة الذهب- حيث تمكنت في هذا الإطار من بسط سيطرتها خلال فترة حكم السلطان أبي الحسن على مدينة تادمكة مضعفة بذلك نزعة الاستقلالية القوية لديها عن الدول المجاورة في الشمال والجنوب[51].

ويمكن لنا أن نتوقع أن تكون العملة المرينية التي وصلت إلى المدينة، بدأت بكميات من النقود التي ضربت في فترته وأخرى تخص فترات السلاطين الذين سبقوا أبي الحسن في حكم الدولة المرينية، حيث يذكر ابن خلدون في هذا النطاق أن النقود التي ضربت في فترة السلطان أبي الحسن علي بن عثمان (731 – 752ه) راج التعامل بها في المغرب وباقي بلدان الغرب الإسلامي على طول العهد المريني[52].

ويلاحظ على العموم تميز العملة المرينية على العموم باستدارة شكل النقود الذهبية منها[53]، مقابل جعل الدراهم الفضية مربعة الشكل[54]. وذلك مقابل سك بعض السلاطين لنقود

[50] - بكير، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160 – 296ه/ 777 – 909م، د ن، الجزائر، 1989م ص 183 وص 186

[51] - العمري، مسالك الأبصار، مصدر سابق، ج4، ص133، القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص210

[52] - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص.658

[53] - النبراوي، رأفت محمد ، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، ط،1 القاهرة، 2000م، ص.351

[54] - العمري، مسالك الأبصار، مصدر سابق، ص.81

نحاسية كانت قيمتها الاسمية تفوق قيمتها الفعلية في المعاملات التجارية، وبما قصر التعامل فيها على شراء المحقرات من السلع[55].

أما من ناحية القيمة فقد جرى تقسيم العملة المرينية لتسهيل عملات الصرف والتجارة، إلى نقود ذهبية شملت: الدينار المضاعف – الدينار - نصف الدينار (2 – 2.5غ = 42 حبة شعير من متوسط الشعير) - وربع الدينار(21 حبة شعير) - وثمن الدينار(0.80 غ – 10 حبات)[56]. ودراهم فضية بوزن قدره 4,6216غ[57]. والفلس ما يعادل 0,05777غ. فيما يسجل وجود دراهم مغشوشة سميت بالدراهم السبعينية[58] يزن أحدها نصف الدرهم المريني[59]، والتي دفع الإقبال على التعامل بها وتسامح الناس في ذلك لأن تعتمد اعتماد الدراهم الكاملة[60].

خاتمة:

يمكن أن نوجز أهم ما توصلنا به من ملاحظات واستنتاجات من هذا المقال الذي خصصنا للعملات التي تمر التعامل بها في مدينة تادمكة خلال الفترة الوسيطة، في ملاحظات يبقى من أبرزها:

- انفراد مدينة تادمكة دون غيرها من حواضر صحراء الملثمين خلال الفترة الوسيطة بسك عملة خاصة بها، وهو معطى ساعد فيه قربها من مصادر الذهب

---

55 - المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2007م، صص120 - 130

56 - العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، ص125

57 - الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص 126

58 - سميت بهذا الاسم للتنبيه إلى أنها سبعون درهما في الأوقية

59 - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2005، ج5 ص،189

60 - نفس الصفحة

في بلاد السودان من جهة، وخضوعها لعدد من الدول التي استخدمت النقود مثل الأدارسة والرستميين والمرينيين من جهة ثانية.

- تميز العملة التادمكية بصفات خاصة أهمها خلوها من الكتابة عليها في معطى لا ندري هل تم فيه اغفال الكتابة عن وعي وقصد بهدف التميز عن العملات الأخرى، أم كان نتيجة فقط ناتج عن الافتقار إلى الخبرة والفنيين والوسائل المؤمنة لذلك.
- تسجيل بقاء العملة التادمكية على حالها دون تطوير مدة سبعة قرون من الزمن، سواء من ناحية الشكل بإضافة الكتابة لها، أو من ناحية التوسع في استخدام معادن غير الذهب لسك العملة التادمكية.
- تنوع العملات التي تم تداولها في المدينة وعكست اعتماد نظام مصرفي، حيث شملت عملة محلية تم سكها على مستوى المدينة (الدينار الأصلع)، إلى جانب عملات تخص دولا سيطرت على تادمكة في فترات متباينة حيث يتعلق الأمر بكل من الأدارسة والرستميين والمرينيين.

المصادر والمراجع:

أولا - المصادر:

1 - ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبى، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م

2 - ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1973

3 - ابن سعيد، أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق سماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م

4 - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر وإبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986

5 - البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، لبنان، . 2002

6 - الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مطابع هيد لبوغ، بيروت، ط2، 1984

7 - العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج4

8 - القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1980، ج8

9 - الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2

10 - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2005)

11 - المقريزي، تقي الدين، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر2007م

12 - كعت، محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2014.

13 - مجهول، خبر السوق، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003

ثانيا – المراجع:

14 - الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999،

15 - النبراوي، رأفت محمد ، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، ط،1 القاهرة، 2000م،

16 - بكير، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160 – 296هـ/ 777 – 909م، د ن، الجزائر، 1989م

17 - دندش، عصمت، دور المرابطين في نشر االسالم في غرب إفريقيا 430– 515هـ/ 1038 – 1121م، 1408هـ/1998م،

18 - محمد عمرو الطـ ـر: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983م
19 - هينتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية *وما يعادلها في النظام المتري*، ترجمة: كامل العسلي، الناشر: الجامعة الأردنية. الطبعة الأولى، 1390هـ

ثالثا – أطروحات جامعية:
20 - دوبلال، محمد، وبلبالي، محمد، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي من القرن 1هـ/7م –إلى القرن 10هم17م"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة آدرار، الجزائر، 2020 – 2021،
21 - خبابة، إيناس، مسكوكات دويلات المغرب الأوسط نماذج من القرن 4هـ/ 7هـ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2018 – 2019،
22 - ميمونة، جاب الله، السياسة المالية للدولة الزيانية (633 هـ - 1236م / 962هـ - 1555م)، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة بن خلدون – تيارت، 2013 – 2014م
23 - نوال، زمالي، العملة في المغرب الإسلامي على عهد الحفصيين والمرينيين والزيانيين(ق7 – 9 هـ / 13- 15م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2016 -2017م

رابعا – المقالات:
24 - السلمي، إبراهيم بن عطية الله، مدينة تادمكة في العصر الاسلامي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، ع66، جمادى الأولى 1437هـ
25 - زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في العهدين الأسبقيين 1493 -1593، الشركة الوطنية، 1971
26 - عبد الشافي، وآخرون، الدور السياسي لقبائل الطوارق في بلاد السودان الغربي في عصر مملكتي مالي والصونغاي، مجلة الدراسات الإفريقية، مج24، ع1، يناير 2024
27 - مطهري، فطيمة، موارد بيت المال الرستمي ونظام المبادلات والمعاملات داخل تيهرت وخارجها(ق2 -3هـ)، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج3، ع2، جويلية 2011م